

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٩ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وتسمى سورة الساهرة . والطامة . وهي مكية . وآياتها ست وأربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا)

[٢] (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا)

[٣] (وَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا)

[٤] (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا)

[٥] (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)

« وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا » بمعنى الغزاة أو أيديهم . يقال للرامي (نزع في قوسه) إذا مدها بالوتر . و (نزع في قوسه فأغرق) و (أغرق النازع في القوس) إذا استوفى مدها . ويضرب مثلاً للغلو والإفراط . و (غرقًا) بمعنى إغراقاً كالسلام بمعنى التسليم ، وهو الإغراق بخدف الزوائد . أو (وَالنَّازِعَاتِ) الكواكب . من (نزع الفرس سنناً) جرى طلقاً ، أى الجاريات على السير المقدر ، والحدّ العين ، مجدة في السير ، مسرعة للغاية . « وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا » أى الخيل لأنها تخرج من دار إلى دار . من قولهم (ثور ناشط) إذا خرج من بلد إلى بلد . أو هى السهام . بمعنى خروجها عن أيدي الرماة ونفوذها . وكل شىء حللته ، فقد نشطته . ومنه (نشاط الرجل) وهو انبساطه وخفته . أو الكواكب تنشط من برج إلى برج . « وَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا » أى الخيل تسبح في عدوها فتسبق إلى العدو . وهو مستعار من (سبى في الماء) لكنه الحق بالحقيقة لشهرته . أو هى الكواكب تسبح في الفلك . لأن مرورها في الجو كالسبح ، كما قال تعالى ^(١) (كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ) . « فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا »

(١) [٢١ / الأنبياء / ٣٣] .

أى الخليل تسبق إلى العدو في حومة الوغى . أو الكواكب السيارة تسبق غيرها في السير ، لكونها أسرع حركة . « فَأَلْمَدَّ بِرَاتٍ أَمْرًا » أى الخليل . أسند إليها أمر تدبير الظفر مجازاً ، لأنها سببه . أو المدبرات مثل المعقبات . أى أنه يأتي في أدبار هذا الفعل الذى هو نزع السهام . وسبح الخليل وسبقها ، الأمر الذى هو النصر . أو هى الكواكب تدبر أمراً نيظ بها . كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات ، مجازاً أيضاً . لأنها سببه . أو هى الملائكة تدبر ما نيظ بها من أمر الله تعالى . وقد جوز فيما قبلها أن تكون الملائكة أيضاً . واللفظ الكريم متسع لما ذكر من المعانى بلا تدافع . ولا إمكان للجزم بواحد ، إذ لا قاطع . ولذا قال ابن جرير^(١) : الصواب عندى أن يقال أنه تعالى أقسم بالنازعات غرقاً ، ولم يخص نازعة دون نازعة . فكل نازعة غرقاً ، فداخلة في قسمه ، ملكاً أو نجماً أو قوساً أو غير ذلك . وكذا عم القسم بجميع الناشطات من موضع إلى موضع . فكل ناشط فداخل فيما أقسم به ، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها ، بأن المعنى بالقسم من ذلك ، بمض دون بعض . وهكذا في البقية . وكلامه رحمه الله متجه للغاية . إذ فيه إبقاء اللفظ على شموله ، وهو أعم فائدة . وعدم التكافؤ للتخصيص بلا قاطع . وإن كانت القرائن واستعمال موادها في مثلها وشواهداها ، مما قد يخص الصيغ . إلا أن التنزيل الكريم يتوقى في التشرع فيه مالا يتوقى في غيره .

لطائف :

قال أبو السعود : العطف مع اتحاد السكك ، بتنزيل التغيرات العنوائى منزلة التغيرات الذاتى .

كما في قوله (٢) :

إلى الملكِ القَرَمِ وابنِ الهُمَامِ . وَلَيْثِ السَكْتِيَّةِ فِي الْمَزْدَحَمِ
للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المدودة من معظمت الأمور ، حقيق بأن يكون على حياله ،

(١) انظر الصفحة رقم ٢٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) ورد هذا البيت في الخزانة (١ / ٢١٦) غير منسوب .

وكذلك هو في (معانى القرآن) للفراء (١ / ١٠٥) .

مناطاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام، بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر إليه. والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة . و (غَرَقًا) مصدر مؤكد بحذف الزوائد . وانتصاب (نَشْطًا) و (سَبْحًا) و (سَبْقًا) أيضاً على المصدرية . وأما (أَمْرًا) ففعل للمدبرات . وتنكيره للتحويل والتفخيم . والمقسم عليه محذوف، تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ، ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه، وهو (لنبعثن) وبه تعلق قوله تعالى : القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)

[٧] (تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ)

[٨] (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ)

[٩] (أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ)

[١٠] (يَقُولُونَ أَعْنَانًا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ)

« يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » أى الواقعة التى ترجف عندها الأجرام الساكنة. أى تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة. فالإسناد إليها مجازى لأنها سببه . أو التجوز فى الطرف يجعل سبب الرجف راجفًا . أو الراجفة الأجرام الساكنة التى تشدق حركتها حينئذ ، كالأرض والجبال . فتسميتها راجفة باعتبار الأول . قال الشهاب : ولو فسرت الراجفة بالحركة جاز ، وكان حقيقة . لأن (رجف) يكون بمعنى حرك وتحرك .

« تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ » أى السماء وما فيها . تردفها فتنشق وتنتثر كواكبها . ولوقوع ذلك فيها بعد الرجفة الأولى ، جعلت رادفة لها . أو الرادفة النفخة الثانية لبعث يوم القيامة .

قال الحسن : هما النفختان . أما الأولى فتميت الأحياء . وأما الثانية فتحي الموتى . ثم تلا الحسن ^(١) (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

(١) [٢٩ / الزمر / ٦٨] .

اللَّهُ ثُمَّ نُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) « قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ » أى شديدة الاضطراب، خوفاً من عظيم الهول النازل « أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ » أى أبصار أهلها ذليلة، مما قد علاها من السكابة والحزن ، من الخوف والرعب . وقوله تعالى « يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ » قال ابن جرير^(١) : أى يقول هؤلاء المكذبون بالبعث من مشركى قريش ، إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت: أننا لمروددون إلى حالنا الأولى قبل المات، فراجعون أحياء كما كنا؟ وقال أبو السعود : حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به ، إثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى، وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار. أى يقولون، إذا قيل لهم إنكم تبعثون، منكرين له متمجبين منه: أننا لمروددون بعد موتنا فى الحافرة؟ أى فى الحالة الأولى . يعنون الحياة . من قولهم (رجع فلان فى حافرتة) أى فى طريقته التى جاء فيها فحفرها . أى أثر فيها بمشيئه . وتسميتها (حافرة) مع أنها محفورة كقوله تعالى^(٢) (فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ) أى منسوبة إلى الحفر والرضا . أو كقولهم (نهاره صائم) على تشبيهه القابل بالفاعل . أى شبه القابل للفعل بمن يفعله ، لتزيله منزلته . فالاستعارة فى الضمير المستتر ، وإثبات الحافرة له ، تخميل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] (أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً)

[١٢] (قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ)

[١٣] (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ)

[١٤] (فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)

(١) انظر الصفحة رقم ٣٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٦٩ / الحاقة / ٢١] .

« أءَذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً » أى بالية . وقرئ نَاخِرَةً . من (نخر العظم) بلى . فصار يمرّ به الريح فيسمع له نخير ، وقوله تعالى « قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » أى ذات خسر . أو خاسرة أصحابها . أى إن صحت فنحن إذا خاسرون . قال ابن زيد : وأى كرة أخسر منها؟ أحيوا ثم صاروا إلى النار ، فكانت كرة سوء .

وقال أبو السعود : هذا حكاية لكفر آخر لهم ، متفرع على كفرهم السابق . ولعل توسيط (قالوا) بينهما للإيدان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار ، مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنها في كافة أوقاتهم . حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع . أى قالوا ذلك بطريق الاستهزاء ، مشيرين إلى ما أنكروه من الردة في الحافرة . وقوله تعالى « فَأَنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » تعليل لمقدر يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة . فإن مداره لما كان استصعابهم إياها ، رد عليهم ذلك ، فقيل : لا تستصعبوها فإنما هي صيحة واحدة . أى حاصلة بصيحة واحدة . وهى الففخة الثانية . وفيه تهوين لأمر الإعادة ، على وجه بليغ لطيف « فَأَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ » أى على ظهر الأرض أحياء .

قال ابن جرير^(١) : والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة (قال) وأراهم سمو ذلك بها لأن فيه نوم الحيوان وسهرها . فوصف بصفة مافيه . وقيل لأن السراب يجري فيها . من قولهم (عين ساهرة) للتي يجري ماؤها ، وفى ضدها نائمة . والسهر على الأول بمعناه المعروف ، والتحوز فى الإسناد .

وفى الثانى مجاز على المجاز ، لشهرة الأول التى ألحقته بالحقيقة . ثم ذكر سبحانه الكفرة ما حل بمن هو أشد منهم قوة ، لما طغوا ، ترهيباً وإنذاراً ، بقوله تعالى :

(١) انظر الصفحة رقم ٣٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ)

[١٦] (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ » أى خبره حين ناجاه ربه تعالى . قال أبو السعود : ومعنى (هَلْ أَتَاكَ) إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ، ترغيب له في استماع حديثه . كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به . وإن اعتبر إتيانه ، قبل هذا ، وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصاص ، حملة عليه الصلاة والسلام على أن يقرّ بأمر يعرفه قبل ذلك . كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه ؟ .

وقال الشهاب : المقصود من الاستفهام التذكير لا التقرير ، كما قيل . ولا مجافاة في المعنى على كلِّ ، كما لا يخفى « إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » إلى حين ناداه بالوادي المطهر المبارك . وهو واد في أسفل جبل طور سيناء من برية فلسطين . و (إِذْ) ظرف للحديث لا الإتيان ، لاختلاف وقتيهما و (طُوًى) اسم لذلك الوادي . أو مصدر لنادى . أو المقدس . أى ناداه ندائين . أو المقدس مرة بعد أخرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ)

[١٨] (فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ)

[١٩] (وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ)

« أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » أى عتا وتجاوز حدّه في العدوان على بنى إسرائيل ، وانتحال صفات الربوبية ، ونسبتها إلى نفسه « فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ » أى تزكى

وتتطهر من دنس الشرك والطغيان . و (إِلَىٰ) متعلقة بمبتدأ محذوف . أى هل لك سبيل أو رغبة إلى أن تتركى ؟

وقال أبو البقاء : لما كان المعنى أدعوك ، جىء بد (إِلَىٰ) فجعل الظرف متملقاً بمعنى الكلام أو بمقدر يدل عليه « وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ » أى أرشدك إلى علم ما يرضيه عنك . وذلك الدين القيم « فَتَخْشَىٰ » أى عقابه من سلب الملك وإذاقة البأس مكان النعم . وذلك بأداء ما أزمك من فرائضه واجتناب ما نهك عنه من معاصيه . وفيه إشارة إلى أن الخشمية مسببة عن العلم ، كما في آية^(١) (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أى العلماء به . قال الزمخشري : ذكر الخشمية لأنها ملاك الأمر . من خشى الله أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر . وبدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض . كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟ وأردفه الكلام الرفيق ، ليستدعيه بالتلطف فى القول ، ويستنزله بالمدارة من عتوه . كما أمر بذلك فى قوله^(٢) (فَقُولَا لَهُ وَقَوْلَا لَنِيْنًا) . انتهى .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ)

[٢١] (فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ)

[٢٢] (مُّمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ)

[٢٣] (فَجَحَشَرَ فَنَادَىٰ)

[٢٤] (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ)

[٢٥] (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرِقَةِ وَالْأَوْلَىٰ)

[٢٦] (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَمِْبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ)

(١) [٣٥ / فاطر / ٢٨] . (٢) [٢٠ / طه / ٤٤] .

« فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ » أى الدلالة الكبرى على أنه لله رسول أرسله إليه . والفاء فصيحة ، تفصح عن جمل قد طويت ، تعويلاً على تفصيلها في السور الأخرى . أى فذهب وبلغ ورجع وتحدثى ، فأراه الآية الكبرى . وهى على ما قاله مجاهد ، عصاه ويده . أى عصاه إذ تحولت ثعبانا مبينا . ويده إذ أخرجها بيضاء للناظرين . وإفرادها لأنهما كالآية الواحدة فى الدلالة . وهى العصا لأنها كانت المقدمة والأصل . والبقية كالتبع . قيل : وكونها كبرى باعتبار معجزات من قبله من الرسل . أو هو للزيادة المطلقة « فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ » أى فكذب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة ، ودعاها سحراً ، وعصاه فيما أمره به من طاعة ربه وخشيته إياه « ثُمَّ أَدْبَرَ » أى أعرض عما هدى إليه . أو انصرف عن المجلس كبراً « يَسْعَىٰ » أى يجتد فى معارضة الآية بالمكائد الشيطانية والحيل النفسانية . أو أدبر بعد ما رأى الثعبان ، مرعوباً مسرعاً فى مشيه « فَحَشَرَ » أى جمع السحرة ، أو قومه وأتباعه « فَنَادَىٰ » أى فى المجمع بنفسه أو بمناد « فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ » أى على كل من يلى أمركم . وفى (التنوير) : أى أنا ربكم ورب أصنامكم الأعلى فلا تتركوا عبادتها .

قال القاضى : وقد كان الأليق به ، بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ، أن لا يقول هذا القول . لأن ، عند ظهور الذلة والعجز كيف يليق أن يقول (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ) ؟ فدلّت هذه الآية على أنه فى ذلك الوقت صار كلمته الذى لا يدرى ما يقول . انتهى .

وهذا على أنه أراد بالرب الخالق والموجد . والظاهر أن مراده ذو السلطان الأعلى والنفوذ الأقوى . وأنه الذى يستأهل الطاعة دون غيره . ولا يخفى ما فيه من جحود قدرة الله تعالى التى هى فوق قدرته ، والكفر بآية موسى والصد عن دعوته . ولذا أخذ أشد الأخذ . فإنه لم يزل فى عقوه حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر ، عند خروجهم من مصر ، فأغرقه الله تعالى فى البحر . وهو معنى قوله تعالى « فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ » أى عذبه عذابهما . أى أن أخذه لم يكن مقصوراً على الإغراق وحده ، بل نكال به وعذبه عذاب يوم القيامة . و (نكال) مفعول مطلق (أخذ) بتأويل فى الأول أو فى الثانى ، والإضافة من قبيل إضافة

الموصوف إلى الصفة . وقيل الآخرة هي قوله (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) والأولى هي تكذيبه موسى حين أراه الآية

قال القفال: وهذا كأنه هو الأظهر. لأنه تعالى قال (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) فذكر المعصيتين ثم قال (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرِةِ وَالْأُولَى) فظهر أن المراد أنه عاقبه على هذين الأمرين. انتهى. وما ذكره القفال كان وقع في قلبي قبل أن أراه . وأراني في إيثاره . ثم ختم تعالى القصة بقوله « إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِمَن يَخْشَى اللَّهَ » أى في أخذه وما أحل به من العذاب والحزى ، عظة ومعتبراً لمن يخاف الله ويخشى عاقبه، ويعلم أن هذه سنته في كل من يقاوم الحق ويحاربه. فإن نبأ الأولين عبرة للآخرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَيْنَهُمَا)

[٢٨] (رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا)

[٢٩] (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)

[٣٠] (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)

[٣١] (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)

[٣٢] (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)

[٣٣] (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ)

« ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ » خطاب للمكذِّبين بالبعث من قريش ، المتقدم قولهم أول السورة ، بطريق التبكيت ، لتنبههم على سهولته في جانب القدرة الربانية . فإن من رفع السماء على عظمها ، هيّن عليه خلقهم وخلق أمثالهم ، وإحياءهم بعد مماتهم .

كما قال سبحانه ^(١) (لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) .
 وقوله تعالى ^(٢) (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)
 ثم بين كيفية خلقها بقوله « بِنَمَاهَا » قال ابن جرير ^(٣) : أى رفعها فجعلها للأرض سقفاً .
 وقال الإمام : البناء ضم الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض ، مع ربطها بما يمسكها حتى يكون
 عنها بنية واحدة . وهكذا صنع الله بالكواكب . وضع كلالها على نسبة من الآخر ،
 مع ما يمسك كلالاً في مداره ، حتى كان عنها عالم واحد في النظر ، سمي باسم واحد وهو
 السماء التي تعملونا . وهو معنى قوله « رَفَعَ سَمَكَمَا » أى أعلاه (السمك) قامة كل شيء
 وقد رفع تعالى أجرامها فوق رؤوسنا « فَسَوَّيْنَاهَا » عدلها بوضع كل جرم في موضعه
 « وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا » أى جعله مظلماً . قال ابن جرير ^(٣) : أضاف الليل إلى السماء ، لأن الليل
 غروب الشمس ، وغروبها وطوعها فيها ، فأضيف إليها لما كان فيها ، كما قيل (نجوم الليل)
 إذ كان فيه الطلوع والغروب . « وَأَخْرَجَ ضُحْمَهَا » أى أبرز نهارها . و (الضحى) انبساط
 الشمس وامتداد النهار . وإيثار الضحى لأنه وقت قيام سلطان الشمس وكمال إشراقها .
 « وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ » أى بعد تسوية السماء على الوجه السابق ، وإبراز الأضواء
 « دَحْمَهَا » أى بسطها ومهددها لسكنى أهلها ، وتقلبهم في أقطارها « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا »
 أى بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً « وَمَرَعَهَا » أى رعيها وهو النبات .
 قال الشهاب : والمرعى ما يأكله الحيوان غير الإنسان . فأريد به هنا ، مجازاً ، مطلق

المأكل للإنسان وغيره . فهو مجاز مرسل .

وقال الطيبي : يجوز أن يكون استعارة مصرحة . لأن الكلام مع منكرى الحشر
 بشهادة قوله (ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا) كأنه قيل : أيها المائدون المزوزون في قرآن البهائم ،
 في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة

(١) [٤٠ / غافر / ٥٧] . (٢) [٣٦ / يس / ٨١] .

(٣) انظر الصفحة رقم ٤٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

«وَالْجِبَالِ أَرْسَسَهَا» أى أُنبتها فيها «مَتَعَمَّا لَكُمْ وَلَا نَعْمِيكُمْ» أى انتفاعاً إلى حين .
قال أبو السعود : ونصبه إما على أنه مفعول له ، أى فعل ذلك تمتيماً لكم ولأنعامكم ، لأن
فائدة ما ذكر من البسط والتهميد وإخراج الماء والمرعى ، واصلة إليهم وإلى أنعامهم . فإن المراد
بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره - كما تقدم - وإمامصدر مؤكد لفعله المضمّر . أى متعمكم بذلك
متاعاً . أو مصدر من غير لفظه ، فإن قوله تعالى (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءًهَا وَمَرَعًا) فى معنى متعم بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٤] (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ)

[٣٥] (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ)

[٣٦] (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ)

[٣٧] (فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ)

[٣٨] (وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

[٣٩] (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)

[٤٠] (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ)

[٤١] (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)

« فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ » أى الداهية العظمى التى تطمّ على كل هائلة من
الأمور ، فتغمر ما سواها بظلم هولها . وهى القيامة للحساب والجزاء « يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ » أى ما عمل من خير أو شر . وذلك بمرضه عليه « وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن
يَرَىٰ » أى أظهرت نار الله لأبصار الناظرين « فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ » أى أفرط فى تعديه ومجاوزه
حد الشريعة والحق ، إلى ارتكاب العصيان والفساد والضلال « وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » أى
متاعها وشهواتها ، على كرامة الآخرة وما أعد فيها للأبرار « فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » أى

مأواه ومرجعه « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » أى مقامه بين يديه للسؤال، أو جلاله وعظمته .
 أى اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ » أى فيما يكرهه الله
 ولا يرضاه منها ، نخالفها إلى ما أمره به « فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » أى مصيره يوم القيامة .
 وجواب (إذا) محذوف لدلالة التقسيم عليه . تقديره: ظهرت الأعمال . أو اتقسم الناس قسمين .
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٢] (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)

[٤٣] (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا)

[٤٤] (إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَمَةٌ)

[٤٥] (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَحْشَاهَا)

[٤٦] (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا » أى إقامتها . أى متى يقيمها الله ويكونها .
 قال الناصر : وفيه إشعار بثقل اليوم كقوله^(١) (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) ألا تراهم
 لا يستعملون الإرساء إلا فيما له ثقل ، كمرسى السفينة وإرساء الجبال « فِيمَ أَنْتَ مِنْ
 ذِكْرِنَهَا » أى فى أى شىء أنت من ذكر ساعتها لهم . أى ليس إليك ذكرها لأنها
 من الغيوب ، فلا معنى لسؤالهم إياك عنها . ولذا قال « إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَمَةٌ » أى منتهى علمها
 « إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَحْشَاهَا » أى ما بعثت إلا لإلذار من يخاف حسابها ، وعقاب الله
 على إجرامها . ولم تكلف علم وقت قيامها « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً
 أَوْ ضُحَاهَا » أى كأن هؤلاء المكذبين بها ، وبما فيها من الجزاء والحساب ، يوم يشاهدون
 وقوعها ، من عظيم هولها ، لم يلبثوا فى الدنيا أو فى القبور إلا ساعة من نهار ، بمقدار عشية
 أو ضحاها . وإضافة الضحى إلى العشية ، لما بينهما من الملاسة ، لاجتماعهما فى يوم واحد .

(١) [٧٦ / الإنسان / ٢٧] .